

## محو الأمية المعلوماتية\*

د. مجدي محمد إبراهيم

مدير المخطوطات والتزويد

ومركز تكنولوجيا المعلومات

بمكتبة مبارك العامة

### مقدمة :

والكتابة فقدت مصادر معرفة ، وعطلت جزءاً من وسائل المعرفة لديها ، ومثل تلك الشعوب تعاني في عصرنا الحالي جهلاً مركباً مكوناً من عدم القدرة على الكتابة وعدم القدرة على التعامل مع أدوات المعرفة الحديثة ، والتي بدورها أصبحت جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه في المسيرة المعرفية المعاصرة . فقد تكون هناك علاقة طردية بين عدم القدرة على القراءة والكتابة وبين عدم القدرة على التفكير بعامة، وعدم التعامل مع مصادر وأدوات المعرفة الحديثة ، ومع ذلك فقد نشاهد فرداً لا يستطيع القراءة والكتابة لكنه يستطيع أن يستخدم ملكات عديدة تؤدي به إلى نتائج عظيمة الأثر في تاريخ البشرية ، فهذا إنسان مفكر ، وقد نشاهد «حاصلاً على الدكتوراة» تحمل رسالته ما يدل علي جهل بما يحمله ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الصَّوَارِءَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [سورة الجمعة:

مجتمع يعاني من «مشكلة الفكر» : مشكلة أن يفكر : أن يتعامل مع الأحداث الحياتية بصورة إيجابية، وأن يكون فاعلاً مفعولاً معه لا مفعولاً به ، بل وأحياناً غير موجود في دائرة الفعل . فمثل هذا المجتمع طبيعي جداً أن يعاني من الجهل والفقير والمرضى النفسي والعضوي ! وهذا المجتمع تطلق عليه الألقاب والأوصاف المختلفة ، غير أنه لا مفر من تعريف هذا المجتمع بلقب شامل ومشهور وصحيح - من عدة وجوه - وهو : «مجتمع أمي الفكر» مجتمع لا يستطيع أن يفكر ، ولا يريد أن يفكر ، بل لا يريد لغيره أن يفكر ! وأمية الفكر أخص من أمية مشهورة ومعروفة ، وهي عدم القدرة على القراءة والكتابة . وهناك علاقة بين أمية الفكر وعدم القدرة على القراءة والكتابة ، فالشعوب التي لا تستطيع القراءة

\* قدم في مؤتمر المكتبات والمعلومات في مجتمع المعرفة : الحاضر والمستقبل ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، ٣١ مارس

- ١ إبريل ٢٠٠٤ م .

الآية ٥]. ونستطيع وضع لفظ الدكتوراة مكان التوراة والنتيجة واحدة - فى بعض الأحيان - فهناك علاقة بين الأمتين ، قد تكون عكسية - وهذا نادراً - وقد تكون طردية وهذا الغالب . نخلص من ذلك إلى أن محو الأمية المعلوماتية فى مجتمع أمى مشكلة تركيبية معقدة تتطلب التعامل مع العديد من المعوقات التاريخية والأنية ، والنفسية ، بل والعضوية أيضاً .

وللتعامل مع هذه المشكلة ضمن فاعليات مؤتمر علمى فى فترة محددة ومحدودة يتطلب الأمر توقع ما سيقدمه الآخرون ، بحيث لا نكرر مجال البحث ، ولا نضيع فرصة إحداث الأثر الشامل لدى المستفيد المقصود التوجه إليه بنتائج هذا المؤتمر .

وقد وقع اختيارى على مشكلة مجتمع أعيش فيه : مصر ، ومجتمع سافرت إليه : السعودية والجزائر وموريتانيا ، وليبيا ، حيث عملت فى جامعات تلك الدول ، وكذلك سافرت فى مهام علمية إلى عدة دول عربية وغير عربية ، وتبين لى حجم مشكلة محو الأمية المعلوماتية فى أى مجتمع بعامة وأى مجتمع أمى بخاصة ، وأخص من ذلك إذا كان ذلك المجتمع يعانى الفقر ورفقته من مرض وعجز وجهل متنامى بفعل هذا الحشد القاهر .

وقد قصدت بعنوان البحث ما يلى :

**محو :** معرفتى بحجم مشكلة الأمية المعلوماتية ، فمعرفتى بها وتنبهى لخطورتها جزء أساسى من محاولة محو أمية فرد أو شعب فى أى مجال من مجالات المعرفة . وقصدت - أيضاً - بكلمة محو تنبيه المحيط الذى أعيش فيه وعشت فيه إلى خطورة تجاهل أدوات المعرفة المعاصرة ، فلقد أقسم الله بالكمبيوتر فى مجمل قسمه بالقلم ﴿وَإِنِ الْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [سورة القلم : الآية ١] .

فالقسم لم يحدد نوع القلم : واليوم نحن نسطر بالكمبيوتر فهو داخل فى القسم فالله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما سيكون والحاسب الآلى ضمن علم الله ، ولم يأت نص بتحريمه ، بل الأمر واضح بأهميته ، وما سينتج عنه .

وقصدت - كذلك - بمحو : إدراك الشعوب التى سبقت فى التعامل مع مصادر المعرفة الجديدة ووسائلها وأدواتها ، فإن السير فى سفينة واحدة مع أناس يجدفون ضد مسيرة المركب ليس فى صالح ركاب تلك السفينة جميعاً ، ولذلك لا بد من الشفافية فى التعامل مع جميع ركاب السفينة فى جميع مجالات المعلومات .

وقصدت - أيضاً - بكلمة محو : محو بالذات وبالحيط ، وهذا ما سنبينه فى معرض البحث . الأمية : عدم القدرة على التعامل بوسائل المعرفة بكامل قدراتها ، وكذلك عدم القدرة على تقبل مصادر المعرفة ، والعجز عن إدراك لا نهائية المعرفة ، فقد ندرك حدود وسائل المعرفة لكننا - فى بعض الأحيان - نعتقد بأن حدود تلك الوسائل تعنى محدودية المعرفة ذاتها وهذه أمية معرفية منتشرة بين العديد من جميع طبقات المجتمعات مع اختلاف مستوى تحصيلها «الشهاداتي» !! مع بقاء عدم القدرة على القراءة والكتابة عاملاً أساسياً فى حصول ذلك الاعتقاد بوجه خاص .

**المعلوماتية :** المعلومة الصادرة من والمتعلقة بها والحاصلة من ظهور الحاسب الآلى .

**مجتمع أمى :** المجتمع المنطبق عليه تعريف الأمية المذكور فى تحديد مصطلحى للأمية .

وقصدت من البحث بعامة تبين الصعوبات التى تعانيها المكتبة المعاصرة فى التعامل مع مجتمع أمى بشمول ذلك المعنى .

وقد قسمت بحثى إلى ثلاثة أقسام ، وخاتمة كالتالى :

القسم الأول : مكونات المشكلة (أسبابها) .

القسم الثانى : منهج المعالجة .

القسم الثالث : الغاية والخاتمة والنتائج .

الهوامش : ومصادر ومراجع البحث .

## القسم الأول

### الانسان

مشكلة محو الجهل بشيء ، مشكلة معقدة لأنها لا تتعلق بذات جاهلة فحسب ، بل تتعلق بمجتمع أفرز هذه الذات ، وتلك الذات تاريخ شامل لكل مكونات مجتمعها ، وإذا كانت المجتمعات فى جبر لعصور المعرفية قد عاشت «فترة من الدهر طويلة بدون مكتبات ، بل بدون أي نوع من التسجيل على الوسائط المادية المعروفة ... وإذا كانت الإنسانية قد عاشت فى العصور البدائية جداً بدون التدوينات ، وبدون المكتبات فليس معنى ذلك أنها عاشت بدون المعلومات»<sup>(١)</sup> . فالإنسان معلومة ، الإنسان معرفة ، الإنسان كلمة ، ومعنى ، ويستطيع أن يعبر عن كل هذا بعدة وسائل قبل الكتابة والكتاب والمكتبة ، ومع عصر المعلوماتية الحديث ، ولذلك لن تتوقف مسيرة ذلك الإنسان المعرفية على وسيلة محددة يحمل عليها معرفته ليحقق ماهية من ماهيات العلم ألا وهى التراكمية ، فالعلم تراكمى ، ولن تستطيع ذاكرة الإنسان أن تحفظ كل رصيد البشرية المعرفى ، فقد عجز الإنسان أمام تعدد المنتج المعرفى الإنسانى ومعارف الكون المتعددة عن حفظ كل هذا فى ذاكرته الداخلية ، لكنه لم يقف «عاجزاً أمام هذا

التحدى بالنسبة لرصيد المعلومات وحفظها ... فلجأ إلى الوسائط المادية فى بيئته كالحجارة والطين وأجزاء النبات وعظام الحيوانات وجلودها يسجل عليها بالصور والأشكال أول الأمر ثم بالحروف والكلمات - فيما بعد - ما يمثل الخبرات التى اكتسبها»<sup>(٢)</sup> . فهذا الإبداع فى تحميل المنتج المعرفى يوجهنا اليوم إلى إمكانية الرقى المعرفى برغم أهمية الفرد ، وهذا ما يوفره عصر المعلومات الحديث فيمكننا استخدام الصور والوسائط الإيضاحية فى استمرار مسيرة الإنسان المعرفية برغم عجز البعض عن القراءة والكتابة ، فهذا العجز لا يقف عقبة أمام تقدم الإنسان وحفظ تراثه المعرفى ، فقد استخدم الإنسان كل إمكانيات عقله وبيئته ليحقق تراكمية العلم ، ومن هنا ظهرت فكرة المكتبات «فهكذا بدأت الذاكرة الخارجية للإنسان ، أو هكذا بدأت ما نسميه الآن بالمكتبات ومراكز المعلومات»<sup>(٣)</sup> وقد تم ذلك عبر أحقاب معرفية «فقد طور الإنسان (وظيفة التحميل) فى عملية الإنتاج الفكرى عبر العصور ، ولا يزال التطور مستمراً ولن يزال كذلك فى المستقبل القريب والبعيد»<sup>(٤)</sup> . فالكتابة وسيلة من وسائل حفظ المعرفة ، والقراءة وسيلة استرجاع تلك المعرفة ، ولكن مع ذلك فإن العالم العربى يعانى أمية القراءة والكتابة ويعانى قلة ممارسة القراءة لدى القارئى بصورة خطيرة لدرجة توحى بأن مجتمعاتنا مجتمعات أمية سواء فيها القارئى وغير القارئى ، فنسبة ممارسة القراءة لدى المؤهلين لها نسبة متدنية ، فالكتابة والكتب والمكتبة أدوات معرفة محروم منها الأمى ، وكذلك حرم منها غير الأمى بعزوفه عن القراءة ، فما هو مدى الإقبال على القراءة فى بلادنا «فمن يقرأ الكتب

المنشورة ؟ وما نسبة القراء الذين يقتنونها أو يترددون على المكتبات لقراءتها ؟ من الصعب جداً الإجابة عن هذا السؤال بدقة علمية نظراً لعدم وجود إحصائيات قطرية<sup>(٥)</sup> فنحن أمام مشكلة مركبة معقدة هي مشكلة الأهمية وآثارها فى تاريخ المجتمع، فحتى غير الأمى يعانى مناخ الأمية فيسائر ذلك المناخ برغم من تخلصه من العجز عن القراءة والكتابة ، والمجتمع الذى يدعى أنه يواجه خطر الأمية لا توجد لديه البداية العلمية لمواجهة ذلك الخطر ، وهذه البداية على أقل تقدير هي معرفة حجم هذه المشكلة ؟ ومدى تأثيرها على المجتمع ككل ؟ فنحن نخرج من تقديرنا لحجم المشكلة حجم تأثيرها فى المناخ الثقافى العام للأقطار العربية، وحقيقة أن «الإقبال على القراءة يزداد باستمرار فى الأقطار العربية التى تتسع فيها حركة التعليم والكتاب موجود فيها بين فئات المثقفين وغير موجود فى الأوساط الشعبية كالعمال والفلاحين والحرفيين وغيرهم ، ولو ألقينا نظرة مقارنة تقريبية بين بعض دول العالم المتقدم فإن النتيجة ستلحق دون شك خسارة فادحة ؟ بل وخطيرة بالدول العربية»<sup>(٦)</sup> ، وهذا أمر خطير فى ضوء التقدم المعرفى المعاصر ، لأنه فى الحقيقة أن النسبة خطيرة تلحق القارئ بالأمى دون تعسف منا ، فنسبة القراء الذين يترددون على المكتبات فى الدول المتقدمة مثل

كندا «تصل إلى ٤٠ ٪ من مجموع عدد السكان وتصل فى الدانمارك والاتحاد السوفيتى سابقاً إلى ٣١ ٪ ، وفى بريطانيا ٣٠ ٪ ، وفى أمريكا ٢٠ ٪ أما فى بلد عربى نام كتنوس فتصل هذه النسبة إلى ٧١ ٪<sup>(٧)</sup> . فهذه النسبة أقل من واحد فى المائة ، ولا يختلف الأمر كثيراً فى معظم البلاد العربية<sup>(\*)</sup> التى تعيش وهم القضاء على الأمية بينما هي تزيد من نسبة الفراغ الثقافى ، بل تزيد الفجوة الثقافية بيننا وبين العالم المتقدم .

إن المكتبات فى العصر الحالى تعانى من فراغ حدث نتيجة تأخر المكتبات فى بعض المجتمعات فى التعامل مع أدوات المعرفة الحديثة ، وأصرت على بقاء الكتاب كصورة ثابتة لوجود المكتبة ، وقد صاحب ذلك خمود من بعض فئات المجتمع تجاه القراءة نتيجة الانشغال التام بكسب لقمة عيش عزيزة النال ، كما أن التسرب من المراحل التعليمية المختلفة قد عاد بصورة لم تكن متوقعة ، وذلك للسبب التالى :

الفقر الذى عاد كصفة قاسمة لبعض المجتمعات التى تحولت إلى قسمين : فقراء وهم الأغلبية ، وأغنياء وهم القلة ، فقد انزوت الطبقة الوسطى - التى هي فى الغالب الطبقة المثقفة العريضة - انزوت فى عزلة تشن من فقر اقتصادى

(\*) نجحت بعض المكتبات العربية فى الإرتقاء بهذه المعدلات المتدنية نتيجة منظومة ناجحة فى استخدام كل وسائل المعلوماتية الحديثة وبأساليب مبدعة وراقية وبعيداً عن الروتين الحكومى ، ومن أهم أمثلة هذه المكتبات مكتبة مبارك العامة بالجيزة، وإدارة المكتبة تتمتع بفكر إدارى متميز أتاح للعاملين فى المكتبة مساحة من الحرية فأبدع كل موظف فى مجال تخصصه ، فصارت المكتبة نموذجاً نادراً فى المنطقة العربية ، بينما الأمر فى المكتبات الحكومية يودى إلى ثبات هذه النسب المتدنية من عدد المترددين ، وهذا جزء من تعقد مشكلة الثقافة فى المنطقة العربية ، ومشكلة محور الأمية جزء من المشكلة الثقافية نعانى تاريخاً من الأخطاء .

ومن فقر في أدوات المعرفة ، حيث لم تستطع التعامل مع أدوات المعرفة الحديثة مثل الحاسب الآلي فتأخر المجتمع في اللحاق بركب معرفي ناهض وسريع الانتشار فظهرت أمية جديدة أضيفت إلى أمية قديمة متعلقة بعدم القدرة على القراءة والكتابة.

وقد أدركت الفئة الغنية والفقيرة والمتوسطة - التي ضمت إلى الفقيرة - عدم جدوى التعليم من الناحية الاقتصادية ، فالفرد ينفق عليه - في المتوسط - خلال عشرين عاماً أكثر من مائة ألف جنيه ، ثم يظل ينتظر فرصة العمل أكثر من عشرين عاماً أخرى ، ثم - إذا عين في وظيفة فإنه - يحصل على راتب مائة جنيه ينفقها في المواصلات! هنا أصبح ترك التعليم المدرسي قناعة مشتركة بين فئات المجتمع ، ولم تعد خياراً حراً ، وهنا كان للمكثبات أن تقوم بدور المنقذ لمجتمع ينهار معرفياً ، وليست المكثبات بصورتها التقليدية ، بل بالمكثبات بصورتها الحديثة الشاملة التي تتعامل مع أدوات المعرفة الحديثة وتيسر وجودها والتعامل معها لجميع فئات المجتمع .

وقد ظهرت مشكلات في التعامل مع أدوات المعرفة الحديثة - بجانب مشكلة الفقر - وهي مشكلات تتعلق بهجمة ضد تلك الأدوات من حيث حرمتها وأنها تسبب إنحرافاً أخلاقياً .

كما ظهرت مشكلة ضعف إجادة اللغات الأجنبية ، والتي هي بدورها أداة من أهم أدوات التعامل مع المعلوماتية المعاصرة .

وهذه المشكلات لا تمثل خطراً بقدر خطر الخصام المعرفي مع عصر نعيش فيه ولا نعيشه !

ففي المجتمعات العربية نشأت صراعات معرفية متباينة المنطلقات ومتعارضة في الأهداف ، وتعلق ذلك بأمية سابقة متمثلة في عدم القدرة على القراءة والكتابة ، وأميه لاحقة متمثلة في عدم القدرة على التعامل مع أدوات المعرفة الحديثة ، وحاول أصحاب هذا النوع من العجز ترسيخ هذا العجز في المجتمع العربي ، باعتبار أن الحياة كانت تسير من قبل بغير هذا النوع من المعرفة فلماذا لا نستمر على ما كنا عليه !! والحقيقة أن هذا ليس استمراراً بل موتاً ، فالمجتمع العربي في عهود سابقة كان أمياً في جزئية معرفية ولكنه كان قابلاً للمعرفة من وسائل أخرى كالسماع كى يستطيع الحياة ، وكى يستطيع أن يخرج من مجالات الحياة المختلفة كنوزاً معرفية تحقق ماهية تلك الحياة ، ولم يكن العجز عن القراءة والكتابة يعتبر شرفاً ؟ . بل كان يعتبر هذا العجز عيباً يحاول تلافى آثاره بتركيز حواسه في مجالات معرفية أخرى حتى لا ينفصل عن مجتمعه وعن الحياة والمجتمعات التي من حوله ، كما كان النبي الأمي يأمر غيره بتعليم الناس القراءة والكتابة ويجازى على ذلك ، ويتلوا عليهم أثناء الليل وأطراف النهار قول الله : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: الآيات ١-٥] ، ولكن ظهر في المجتمع العربي فصاماً نكداً هو الفصام النكد الحقيقي وهو الذى تمثل في فصم وسائل المعرفة عن المصادر المناسبة لها والتي خلقت من أجل التعامل معها ، والتي لا تتحقق ماهيتها إلا بالتعامل معها ، وصاحب هذا الفصام وجود الذات التي تقدر غير المقدس ، فقد قدست الجهل باعتبار أن هذه الأدوات المعرفية

النقم»<sup>(٨)</sup> برغم من أن القلم الذى أقسم الله به يمكن أن يكتب به كل شر ، بل وكل كفر ، وكذلك كل ما هو مباح شرعاً يمكن أن يكون شراً وحراماً ، وبالتالي فإن الخصام المعرفى مع منجزات العصر لا مبرر له ، إلا العجز النفسى الذى يعانى به بعض العرب وبعض المسلمين ، بل إن بعض العاجزين عن فهم عطاء الله فى كل عصر اعتقدوا أن ظهور الحاسب الآلى معناه نهاية كل ما سبق مثل «المؤلف ... الوقر ... المكتبة ... الأيديولوجيا ... الطبقة المتوسطة ... الذاكرة ... إن النهايات هنا إما بدافع فكر متطرف متسرع تشابهت عليه الظواهر المؤقتة وكأنها قاربت غايتها أو استنفدت أغراضها ، وإما بدافع الحسرة على ما كنا نفقده أن نودعه خزائن النسيان»<sup>(٩)</sup> وليست النهاية كانت مرتبطة بظهور الحاسب الآلى وملحقاته ، بل كانت مختزنة داخل نفس انهزامية تتيح للدول المتقدمة أن تدعى تميزاً أنثروبولوجياً وعقلياً ، وهذا الادعاء يمثل عقبة كبرى تحول بين الشعوب المتخلفة وبين حقها فى أرث البشرية المعرفى ، الذى يدعى الغرب حقه فى احتوائه ، بل وتسخيره لأهداف احتكارية منها ما هو خير فى ذاته ومنها ما هو شر مطلق ينزع إلى محو الآخر ، أو خنقه فى دائرة «حضور بلا وجود ، جنس بلا رفقة ، أقلام بلا أحبار»<sup>(١٠)</sup> تحت مقولات زائفة : أن هذا هو عصر المعلومات أو ما بعد المعلومات ، وأن الشعوب الأمية ما لها إلا أن تجلس جلسة القرود تشاهد هؤلاء العلماء يصنعون حضارة جديدة ، وقد يمنون على هذا القرود بحجة قول سودانى أو موزة !! برغم أن هذا العالم المتقدم لم يعرف مقدمات ومنهجيات عالم المعلومات إلا عن

بدعة ، وتابعوا القول : فجعلوها ضلالة ! وهذا دين مركب دين وضعى !! فالدين السماوى يأمر بإعمال كل الحواس المعرفية فى كل مصادر المعرفة التى تناسبها ، بينما الدين الوضعى : وهو تفسير الدين السماوى من قبل البشر يرفض كل ما يتعذر عليهم فهمه ، والتعامل معه ، والأديان الوضعية لا تستطيع التخلص من أميتها المعلوماتية حتى وإن حصلت على الدكتوراه فى علوم عديدة ، فعقول أصحاب الديانات الوضعية فى حالة موت وليست فى حالة سبات أو إسبات ، وقد عايشت هذه النوعيات فى عدة دول ، ولم أجد أخطر على الديانات السماوية من هؤلاء الذين يحاولون التآله بعلم فوق علم الله ، وهؤلاء يرهبون المجتمع بكهنوتية مريضة ، وقد رأيتهم فى جميع الديانات ، ولكن وجدت بعض دور العبادات قد أصبحت مركز معلومات يمارس فيه رجل الدين نوعاً من الانفتاح المعرفى لم تكن الكهنوتية السابقة فى بعض دور العبادات تسمح به وهذا تغيير مهم لكن هذا الأمر لم أجدّه فى دور العبادات لدى البعض فقد عايشوا الفصام النكد على أنه قدر حتمى فقليل من شيوخ العالم الإسلامى يستطيعون استخدام وسائل المعرفة المعاصرة ، وقليل منهم من يجيد اللغات الأجنبية ، فهم فى خصام مع العالم لغة ومعرفة ومنهجاً ، وإن كانوا يهاجمون هذا العالم دائماً ، وكأن المفروض على هذا العالم ألا يتقدم وألا يتفوق على المسلمين لأنهم لا يريدون الاستفادة من منجزات عقل الإنسان المخلوق !

ولأن معظم العالم الإسلامى يعانى مرضاً خاصاً وهو «تنقيح كل نعمة ، فقد تآرجح رأى بشأن الإنترنت [مثلاً] بين حديث النعم وحديث

طريق هؤلاء الأميين الذين تعلموا القراءة والكتابة وبرعوا في علوم لم تبدأ إلا بهم فلمم الببليوجرافيا أو علم قوائم الكتب علم عربي قديم «يرجع تاريخه المحقق إلى أكثر من عشرة قرون ، وربما امتدت بداياته الأولى في أعماق التاريخ العربي إلى ما قبل ذلك بقرنين»<sup>(١١)</sup> فقد حدث الانفجار المعرفى عند العرب قبل أن يعى هذا العالم المتقدم اليوم معنى من معانى التصنيف للكتب وللفنون والعلوم فلا شك «أن كثرة العلوم والمعارف فى الإسلام هى التى دفعت علماء المسلمين إلى وضع النظريات والفلسفات نحو تقسيم العلوم»<sup>(١٢)</sup> وقد كان هذا الانفجار المعرفى تطبيقاً للآية «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» وللآية «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ» [سورة المؤمنون : الآية ٧٨]. و «إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» [سورة الإسراء : الآية ٣٧] و «قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» [سورة يونس : الآية ١٠١].

فهذه الآيات دعوة مفتوحة لكل وسائل المعرفة للعمل فى مصادر المعرفة المناسبة لها ، ومصادر المعرفة هنا الكون كله ؟ ، ولهذا حدث الانفجار المعرفى عند المسلمين مبكراً ، ولذلك احتاج العرب إلى تقسيم العلوم وتصنيفها قبل العالم المتقدم اليوم بعشرة قرون ، وحقيقة أن الأمية كانت عقبة أمام كثير من العقول العربية وغير العربية لتستقيم لديها أدوات المعرفة لكن المجتمع فى تلك البقعة من العالم لم يعرف الحجر على حواس الإنسان أن تعمل فى غياب حاسة من حواس المعرفة ، فلماذا نقيّد تقدم الفرد بجزء من أدوات المعرفة وهى القراءة !؟

ونستطيع إيجاز عناصر مشكلة الأمية القديمة والمعاصرة فيما يلى :

- انقطاع الأُمى فى المنطقة التى نعيش فيها عن تاريخه ، وذلك لأسباب عقدية خاطئة ، ولأسباب اجتماعية وسياسية .
- الفقر الاقتصادى الذى حل بتلك المنطقة نتيجة عدة حروب لا فائدة منها إلا رغبة بعض الحكام فى أمجاد وهمية ، مما نتج عنه إهمال كل مجالات الحياة ومنها التعليم ورعاية العلماء ، وبدلاً من ذلك اقتحم الشعراء ساحة النفاق فزيفوا معنى العلم ومعنى القراءة .
- نزعة فقدان الإرادة والانتحاء بل والهوية التى سيطرت على كيان وحواس ومشاعر معظم أبناء المنطقة فى عدة أحقاب من الحكم الجاهل والظالم ، ثم الحكم الاستعمارى ، وما يتبعه من إهمال كل عناصر وجود الإنسان .
- قيام الثورات العسكرية فى العصر الحديث والتى يغلب عليها النزعة الخطابية ، مع إهمال التخطيط العلمى للنهوض الجاد بالمجتمع وجدانياً ومعرفياً .
- افتقاد التواصل المؤسسى للنهوض بالتعليم وتدارك الأخطاء التاريخية فى المراحل السابقة ، فقد سيطرت الحلول المؤقتة والشخصية على مسيرة التعليم ، بل وتعارضت خطط بعض الوزارات أو المؤسسات مع بعضها البعض فى فترة زمنية واحدة ، أو فى فترات متقاربة ، مما أدى إلى تضخم جميع مشكلات المجتمع ومن أهمها مشكلة التعليم بشكل عام ، والأمية بشكل خاص ، وسهل تنصل كل مؤسسة أو

وزارة من مسؤوليتها عن عدم تحقق خطوة إيجابية نحو تقدم المجتمع معرفياً ، وفي نفس الوقت ظهرت الصيحات الكاذبة التي تدعى قدرتها على القضاء على الأمية بصورة حاسمة وقاطعة .

● ظهور التقدم العلمي الحديث القائم على مناهج بحثية غائبة عن المنطقة العربية<sup>(١٣)</sup> . مما أدى إلى افتقاد العقلية العربية فهم منطلقات النهضة العلمية الحديثة ، وكذلك ظهور عصر الحاسب الآلي أو ما يسمى «الثورة الصناعية الثالثة ... وما تبع ذلك من تطور هائل في مجال صناعة المعلومات (Informatics) في أبعادها المختلفة المتمثلة في المعدات (Hardware) أو في البرامج الأساسية والتطبيقية (Software)»<sup>(١٤)</sup> . وقد أدى ذلك إلى حدوث صدمة لدى معظم الدول النامية والمتخلفة ، وأيضاً أدى هذا في بادئ الأمر إلى إحباط العاجزين عن القراءة والكتابة ، فقد شعروا بأن هذا العصر ليس عصرهم وعليهم انتظار الموت ليخلصهم من عبء العيش في مجتمع لا يفهمون آليات حركته ، وكذلك

شعور بعض العرب بالدونية حين رأوا التقدم العلمي المتمثل في المنتج الحربي والمدني للعالم المتقدم وقد زاد من حدة هذا الشعور أن إعلام هذه الدول المتقدمة أظهر نفسه بأنه الجنس الأعلى «السوبرمان» أو الجنس الآري وارث الحكمة اليونانية .

● إصرار المسؤولين في المنطقة على ربط النهضة العلمية بالقضاء على الأمية ، وعلى تحديد النسل ، وعلى كبت الحرية تحت دعوى لا صوت يعلو فوق صوت المعركة ، أو صوت اللامعركة ، أو تعليق كل شيء على إصلاح كل شيء ، ولما كان كل شيء لن يصلح فبالتالي لن يحدث أي شيء ، وهكذا ندور في حلقة مفرغة ، فلا الأمية تراجعت ، ولا النسل يتحدد ، ولا المعركة استمرت !!

مما سبق يمكننا فهم عناصر تلك المشكلة ، وفهم عناصرها وترتيب إيجابية تلك العناصر بحيث نرتب أولوية الاستفادة منها ، وتجنب سلبيات الحلول المؤقتة التي تناولت المشكلة في جزئيات لم تثمر في الحل المجدي ، والذي يؤمل منه التقدم ولو خطوة نحو حل تلك المشكلة .

## القسم الثاني

### المنهج

إن أسس أية مشكلة هي جزء من أسس التعامل معها ، وبالتالي فإن منهج مواجهة هذه المشكلة يبدأ بفهم مكونات هذه المشكلة ، واستنتاج منهج التعامل مع هذه المشكلة من خلال ما يتناسب مع هذه الأسس فليس المنهج سابقاً على وجود المشكلة ، بل هو منهج حتمى ناتج من تركيب هذه المشكلة ، فبقدر تعقد هذه المشكلة بقدر ما يحتاج الحل إلى تحليل عناصر هذه المشكلة، والتعامل معها فى كلية شاملة ، فإذا كان «التحليل بإيجاز هو عملية تعريف وتقويم للأجزاء التى تكون منها الكل ، وهو وسيلة للحصول على معرفة غنية وجديدة ... ويمكن الباحث من التمييز بين ما هو أساسى وما هو ثانوى من عناصر الظاهرة»<sup>(١٥)</sup> . فإن تحليل هذه المشكلة يبين لنا حجم أساسيات تلك المشكلة المعقدة ، لكن المنهج التحليلى لا يكفى لتبين حجم تلك المشكلة ودور كل عنصر من عناصرها إلا باتباع المنهج التركيبى الذى يناسب تلك المشكلة التركيبية ، ومن هنا تظهر العلاقة الوثيقة بين المنهجين ، فالتحليل يعنى عملية تفتيت الكل إلى أجزاء سواء كان تفتيتاً طبيعياً مثل ما يحدث فى العلوم الطبيعية أو تفتيتاً ذهنياً مثل ما يحدث فى العلوم الإنسانية ، والتركيب يعنى إعادة تجميع وبناء الأجزاء لتكوين الكل ، وهدف التحليل هو إدراك عناصر كل مركب مع معرفة الضوابط التى تربط علاقاتها من جهة والقوانين التى تحكم حركة وتطور الكل المركب من جهة أخرى ، وهدف التركيب توحيد

العلاقات المفككة فى كل واحد<sup>(١٦)</sup> وقد تبين لنا من تحليل عناصر مشكلة الأمية أن أخطرها ما يلى :

الوقوف بالأمى فى مجال المعرفة عند حاجز العجز عن القراءة والكتابة ، فإذا كانت تلك المشكلة عميقة الجذور فإن مواجهة مكوناتها يتطلب مواجهة تاريخ من الأخطاء ، أولها تقليل حجم الأمية وأثرها فى آن واحد ، فإذا لم نستطع تعليم كبار السن فإننا لا نعدم الإرتقاء بخبراتهم المعرفية بأساليب معلوماتية حديثة ، تعالج قصور معرفتهم الصحية وطرق وأساليب الوقاية من الأمراض والأوبئة ، وطرق التعامل معها إذا حدث المرض أو حل الوباء ، وهذا الأمر مطبق فى قنوات تليفزيونية فى دول العالم المتقدم برغم أن أمية القراءة والكتابة غير موجودة إلا بنسبة ضئيلة لا تذكر ، ومطبق فى مؤسسات اجتماعية وعلمية تخاطب هؤلاء المتعلمين بوسائل إيضاحية وكأنهم عاجزين عن القراءة والكتابة ، وذلك مراعاة لضعف حواسهم نظراً لتقدم أعمارهم ، فهم لا يهتمون بتقديم المعلومة النافعة لحياتهم ولجميع أنشطتهم ، وهناك برامج متنوعة لكبار السن تعتبر نموذجاً يمكننا الاستفادة منه لصالح العاجزين عن القراءة والكتابة ، تساهم فى تقدمهم المعرفى كى يمكنهم المساهمة فى رقى مجتمعهم حتى آخر لحظة من عمرهم .

كذلك الإرتقاء بخبراتهم العملية فى جميع مجالات الحياة ، وذلك أمر ميسور فى ظل التقدم المستمر فى وسائل الإيضاح المعرفية من خلال برامج الحاسب الآلى ، ولى تجارب ناجحة فى تعليم

غير القادرين على القراءة والكتابة وكيفية التعامل مع الحاسب الآلى وشبكة الإنترنت والاستفادة من معلومات تسويقية وتعليمية تخص العديد من المهنيين من صانعى الأثاث ، ومن العاملين فى الصيد والتجارة ، وكذلك فى الحد من الفجوة المعرفية لدى الطفل الذى ترك المدرسة مبكراً<sup>(\*)</sup> وإنقاده من الخصومة المعرفية مع العصر الذى يعيش فيه .

هذه جزئية فى علاج آثار أمية القراءة والكتابة، لكن أن نحاول تعليم الكبار القراءة والكتابة ونعطل مرحلة استفادتهم من المعلوماتية المعاصرة فهذا قصور فى محاولة التخلص من الهوة المتسعة بين ما يعيشه العالم المتقدم وبين ما نحن فيه .

كذلك فإن التسرب من مراحل التعليم المختلفة هو الخطر الأكبر الذى جعل الحد من الأمية وهماً وأمرًا مستحيلًا لأنه بينما نجد صعوبة بالغة فى تعليم الكبار القراءة والكتابة نترك الأطفال يفرقون فى بحر الأمية بسهولة بينما تقبلهم تعليم القراءة والكتابة أيسر فسيولوجيا ونفسياً وعقلياً من الكبار وثمار استفادتهم من محو أميتهم أكثر فائدة للمجتمع ، بل إن جرماً تجاههم أشد وأخطر لأن مسئوليتنا عنهم مسئولية مباشرة ، بينما مسئوليتنا عن الكبار مسئولية تاريخية وخطأ تاريخي تتعدد فيه المسئولية

ويسهل الهروب والتهرب من تحملها .  
وأيضاً لو تعاملنا مع المرأة التى حرمت من التعليم باعتبار أنه لا فائدة من تجاوز جهلها إلا بعد تعليمها القراءة والكتابة فإننا نضيع البقية الباقية من كيانها المعرفى ونعطل وسائل معرفة عديدة لديها تستطيع بها أن تعيش عصرها بجزء إيجابى من وسائل المعرفة لديها تتناسب مع جزء من آليات المعلوماتية المعاصرة .

إننا نضيع أجيالاً ونحرمهم الاستفادة من منجزات عصرهم تحت دعوى ضرورة القضاء على أمية القراءة والكتابة ، وبدلاً من هذا الوهم نستطيع أن نعتبر المعلوماتية المعاصرة مدرسة جديدة معاصرة تيسر سبيل المعرفة أمام واقع صعب التخلص من أخطائه التاريخية دفعة واحدة ، وإذا كنا نأمل من المدارس التعليمية المعاصرة أن تقوم بدور جديد مواكب عصر المعلومات وخاصة فيما يخص الاعتماد على الذات فى تحصيل المعلومات ، فإنه لا بد من «امتلاك القدرة على جمع الحقائق العلمية ... وعلى رؤية المشكلات المعلوماتية عبر مصادر أخرى غير الكتاب»<sup>(١٧)</sup> فغير الكتاب يمكن عبر وسائل عديدة لا تحتاج القدرة على القراءة والكتابة .

(\*) تعاملت مع العديد من هؤلاء الأطفال من معظم مناطق مصر ولا يعرفون حرفاً واحداً من أية لغة وحفاة ويعانون فقراً أو إهمالاً من المجتمع ولكنهم أثبتوا قدرة فائقة فى التعامل مع الحاسب الآلى فى جزئيات معرفية وترفيهية أعادت إليهم الثقة فى أنفسهم معرفياً وعقلياً ونفسياً فقد تميزوا على رفاقهم من الذين حصلوا على حظاً من التعليم بلغ المرحلة الثانوية . وقد حدث فى مؤتمر الفلسفة ورجل الشارع أن أتى أحد المشاركين فى المؤتمر برجل الشارع كى تكتمل منظومة المؤتمر ، وكنت أود لو أفعل ذلك وأقدم طفلاً من صعيد مصر من محافظة المنيا اسمه السيد مرزوق ، حار العديد من المتخصصين فى مجال التربية فى فهم آلية تعامل هذا الطفل مع الحاسب الآلى ، ولكننى لا أعتبر هذا المثال قاعدة لأنه وغيره يستطيعون الاستفادة من المعلوماتية المعاصرة إذا بسرنا لهم كيفية التعامل معها . ولكن لا يجب تركهم فى بحر الجهل المركب من أمية قديمة وأميه جديدة !

وهذا أمر يمكننا تطبيقه في المدارس وغير المدارس أو على وجه الدقة «المدارس المفتوحة المعاصرة» مدارس المعلوماتية المعاصرة التي ظهرت كرحمة لطبقات حرمت من التعليم المدرسي المنتظم، وليس معنى هذا أننا نستغنى عن تعليم القراءة والكتابة لتلك الطبقات ، لكننا نستفيد من واقع جديد مع واقع صعب تغيره في يوم وليلة .

## دور المدارس والمكتبات وأجهزة الإعلان في عصر المعلومات :

### أولاً: المدارس :

إن المناخ المدرسي الشامل لكل مجالات الحياة يجعل الفرد - أى فرد - يقبل الانخراط فى كل نشاط تقوم به المدرسة ، التى تتسع مكانياً لكثير من المجالات فوجود لوحة البيانات (السبورة) يحرك فى الطفل الرغبة فى أن يكتب ، ووجود المعمل يحرك فى الفرد الرغبة أن يجرب كيميائياً وطبيعياً ، ووجود آلات الموسيقى تحرك الرغبة فى الفرد أن يداعب أوتار تلك الآلات ، ووجود الملعب يحرك فى الفرد الرغبة فى الحركة ، ووجود المشغل والورشة تحرك فى الفرد الرغبة فى أن يظهر عقدة الحل والتركيب، ووجود المرسم بعدة أدوات ومواد يحرك فى الفرد الرغبة أن يعبر عن شعوره الفنى ... إلخ .

وسوف تظهر المواهب بين المتعاملين مع هذه المجالات ، ولكن الأهم هو أن المدرسة التى تحوز هذه الإمكانيات سوف تشيع مناخاً من العلم والحركة والفن والحرية فى الاختيار يحرك المجتمع ككل من نقطة إلى نقطة أخرى لن تكون للخلف

أبدًا ، وسوف تنداعى الحركة وكأنها عجلة كونية دارت ولن تقف ، تنتج كل اليوم الجديد ، لا تعتمد على تعليم القراءة والكتابة فحسب ، ولا تعتمد على إلقاء المواعظ الخطابية ، بل ستحرك المجتمع نحو العمل ومن يعمل لن يعلم الخير من عمله ، حتى وإن فشل فى نتيجة عمله ، لأن علم أصول الصناعة (التكنولوجيا) يقوم على تجارب عديدة الفشل ، فى كل تجربة يعطى معلومة جديدة فى المجال الذى تمت فيه التجربة ، تبين صدق الفرض الذى فرضناه سبباً للظاهرة أو لوجود الشيء محل الاختبار ، كذلك فإن المدرسة التى بهذا الشكل لن تكون مكاناً للجبر وللقهر وللإحباط ، لأن تعدد مجالات النشاط سوف تخاطب فى كل طفل وفى كل فرد ما خلق له وما هو مهياً له ، وما فعله نحن بوجود مثل هذه المدرسة هو تنبيه الطفل أو الفرد إلى ما هو كامن فيه ، وما كان ينتظر الآلة المناسبة والمكان المناسب والزمان المناسب ليظهر لنا ما كان بالقوة إلى حيز الفعل والإنتاج والإبداع .

فالمدرسة التى يحتاجها المجتمع لا تضع طاقة المجتمع الاقتصادية فى مبنى ينتهى دوره قبل نصف اليوم ، ويغلق فى العطلات الأسبوعية ، والسبوية ، بل هى مدرسة معطلة أثناء عملها !! مدرسة كهذه ليست حلماً مثالياً مستحيلًا إنما هى مدرسة تحتاج قراراً إدارياً وتحتاج عوناً من كل المؤسسات المعنية لأن مدرسة كهذه ستقلل من المبالغ المخصصة للموقاية من الأمراض ، ولمكافحة الجريمة ، وتقلل من الأموال المخصصة لإنشاء النوادى ، وهى فى النهاية مصنع لإظهار المواهب ، ولظهور الفتيان والفتيات ، وللرجال والسيدات القادرين على حمل رسالة الإنسان فوق هذا الكون ، وكذلك تحتاج

هذه المدرسة إلى وعى من العاملين فيها بأن رسالتهم ليست وظيفية روتينية ، بل وظيفة إنقاذ المجتمع من أخطاء تاريخ من الجهل والظلم والأنانية والنفعية وفقدان الانتماء ، واللامبالاة ، يصدق بمقولة أكون أو لا أكون فمن يكون كاتبها وفاعلها فى آن واحد ؟

إن مدرسة كهذه لن تنتظر من الفرد أن يعلم بعد أن يتعلم القراءة والكتابة ، بل ستحرك فيه كل ملكاته المعرفية لتخلصه من أمية هى الأخطر ألا وهى أمية المعرفة أمية الوجود الحقيقى المؤثر فى الكون الذى يعيشه ، إنها لن تنتظر من الفرد أن يحصل على شهادة قيادة السيارة ثم يتولى قيادة السيارة أو لا يتولى هذا الأمر ، إنها ستجعله يبادر بقيادة السيارة ويحسن من أساليب قيادتها وصيانتها وفهم آلية عملها ثم يكون حصوله على الشهادة تحصيل حاصل وليس العكس .

#### ثانياً: المكتبات :

لن يختلف دور المكتبة من ناحية المنهج عن الدور الذى بينا نموذجاً فى المدارس ، إلا فى كونها مكتبات شاملة لما لا يمكن للمدارس أن تحققه بصورة واقعية ، فالمكتبات ستكون مراكز معلومات أكثر تخصصاً من المدارس فليس المطلوب منها أن تكون ذات ملاعب ولا ورش ، ولا مرصماً وإنما المطلوب منها أن تيسر سبيل المعرفة المتخصصة لكل فرد من أفراد المنطقة التى تقع فيها فهى مسئولة عن محو أمية المعلومات : الأمية المعاصرة ، فأجهزة الكمبيوتر تحتاج مواهب قد لا تيسر فى المدارس ، وعبث ما نحن فيه الآن من أجهزة محطة كواجهة داخل المدارس ، دون أية فائدة

حقيقية ولا دور محدد تقوم به فى سبيل محو الأمية المعلوماتية .

فالمكتبات ليست محلاً لأوعية المعلومات فقط ، بل هى ذاتها وعاء للمعلومات بكافة صورها وأنواعها ، ولقد مرت أوعية المعلومات بثلاث مراحل أساسية ، أولها الأوعية قبل التقليدية ، المتخذة من المواد الطبيعية أو النباتية أو الحيوانية ... وثانيها الأوعية التقليدية المتخذة من الورق الصينى ومشتقاته عبر العصور ... وثالثها الأوعية غير التقليدية منذ القرن التاسع عشر كالمصغرات والمسموعات والمرئيات ، والمختزنات الإلكترونية بما فيها المليزرات<sup>(١٨)</sup> ، فكل هذه الأنواع من أوعية المعلومات هى أدوات المعرفة ومصادر المعرفة تظل المكتبة هى أولى المؤسسات باحتوائها كى لا تتدخل الاختصاصات فنشوه صورة المكتبات بضعف الإمكانيات وتوزيع الجهود والقدرات على مكتبات فرعية لا تستطيع أن تحقق ما نهدف إليه من محو الأمية المعلوماتية ، ولا تثقيف المجتمع ككل ، ولا تيسير سبيل الباحث العلمى المتخصص ، ولا أعنى هنا المتخصص بالراغب فى الحصول على درجة علمية ، وإنما أعنى به الراغب فى العلم والمعرفة بغية الإرتقاء بالمهنة التى يزاولها أياً ما تكون هذه المهنة ، أو الراغب فى تحسين أدائه الفنى والمهارى والخططى فى الفنون والرياضة .

إن دور المكتبة فى محو الأمية المعلوماتية يتطلب وجود أخصائى معلومات موهوب ودارس ، فقد رأينا مئات العاملين بالمكتبات ، لكن من الصعب أن نجد الأخصائى الموهوب الذى يملك روح المبادرة ، فأهم صفات أخصائى المكتبات هى

روح المبادرة ، والسعى نحو تيسير سبيل الباحث والعمل معه فى صورة فريق عمل ينتج منتجاً نافعا للبشرية جمعاء ، حتى ولو كان هذا المنتج حذاءً يرتديه الناس ، فإن جودة هذا المنتج وكونه مريحاً مؤدياً الغرض منه بصورة حسنة يعتبر عملاً علمياً جديراً بالاهتمام والمساعدة من أخصائى معلومات يعنى هذه المعانى فى كل عمله . وأما الدور الذى أراه فى بؤرة اهتمام مكتبة اليوم فيجب أن يكون تجاه الذين حرموا من تعليم القراءة والكتابة فتيسير تعليمهم القراءة والكتابة عن طريق البرامج الحديثة ، والتي أثبتت فعاليتها فى محور الأمية سيكون أفضل نتيجة من معلم ماهر موهوب وهو نادر فى تخصصه ، وقد يكون قليل المثابرة ، لأن البرامج الحديثة فى هذا الشأن فى الدول المتقدمة مختبرة الاف المرات وعلى شعوب عديدة ونماذج مختلفة ، وأثبتت فعاليتها فى درء هذا الخطر عن إنسان العصر .

المهمة الثانية التى أراها فى أولويات عمل مكتبة اليوم هى الإرتقاء المعرفى بالإنسان العاجز عن القراءة والكتابة ، فهذا الدور لا تستطيع المدرسة أن تقوم به إذا حصل التسرب من المدرسة ، بينما هذا هو دور المكتبة الأساسى من وجهة نظرى ، فالمكتبة

العامة دورها أشمل فى هذه المهمة ، وفى نفس الوقت هى أولى به وأخص به من المدرسة ، وتستطيع المكتبات المتميزة أن تستفيد من روح المبادرة الذى تتمتع به إدارة وعاملين ، وقد تعاملت مع عدة مكتبات فى عدة دول عربية وغير عربية ، ولم أجد نموذجاً موحداً للخدمات المكتبية ، لكن كان تقييماً للمكتبات التى تعاملت معها يعتمد على تنوع تلك الخدمات ، وعلى مراعاة الفروق الفردية بين شرائح المجتمع ، فالمكتبة ليست مكاناً طبقياً تمارس فيه الشرائح الرفهة قهراً جديداً تجاه الطبقات الكادحة ، بل إن المكتبة المعاصرة هى النموذج الممكن لحصول أصحاب المواهب المتميزة على حقهم فى المعلومات التى تيسر سبيل رقيهم العلمى والاجتماعى . وكذلك كان تقييماً لتلك المكتبات قائم على نسبة دوران مقتنيات المكتبة<sup>(\*)</sup> فى القيام بهذا الدور والنهوض بالمجتمع برغم خطر الأمية القديمة .

### ثالثاً: دور أجهزة الإعلام:

تتعامل بعض المواد الإعلامية مع مشكلة محور الأمية المعلوماتية بصورة ساخرة ومحبطة لأصحاب هذه المشكلة فتزيد نفورهم من العلم والمعرفة

(\*) فى إحدى الدورات التدريبية فى علوم المكتبات بمكتبة مبارك العامة بالجيزة أعلن أحد المشولين عن الثقافة فى مصر أنه لاحظ أن أحد أمناء المكتبات التابع لوزارته يحصل فى كل عام على جائزة أفضل أمين مكتبة ، وجذبه الفضول كمشول أن يتبين منهج هذا الأمين الذى حصل على هذه الجائزة لمدة ثلاث أعوام متتالية ، فقام بزيارة مفاجئة للمكتبة المشول عنها هذا الأمين ، فقوِّجى بأن هذا الأمين يضع الكتب التى فى عهدة مكتبته فى الدواليب ، ويحيط هذه الدواليب بسلسلة من الحديد ومغلقة بقفل كبير طول العام ، ولذلك فإن كتب هذه المكتبة لا تضيع ولا تتلف ، فيكون تقديره أفضل تقدير !!! فهو بالفعل أمين مكتبة !! بينما تقوم مكتبة مبارك على فلسفة عكس هذا النموذج ، فليس لديها ما يسمى بنسخة لا تعار غير الدوريات ، ودوائر المعارف ، ولذلك أمل من مكتبة مبارك العامة بالجيزة أن تضطلع بهذه المهمة لأن عدد روادها يعتبر أكبر عدداً بالنسبة لمساحتها ، كما أنها تخدم شرائح اجتماعية عديدة من مختلف الأعمار ، بل والجنسيات .

وحامليهما المزيفين ، الذين لو علموا واجب الحاصل على جزء من المعرفة ، ولو كانوا هم أصلاً قد نالوا شيئاً من العلم أو المعرفة لما كان هذا سلوكهم ، ولكن إذا كان هذا هو سلوك أفراد من مجتمع يحوى العالم والجاهل والمدعى فكيف تسمح أجهزة الإعلام بظهور هذه المواد التي تضر المجتمع وتمنع علاج مشكلاته ١٩

إن الإعلام فى مجتمع المعرفة يستطيع أن يمارس سطوته الفكرية فى اتجاه إيجابى ، ولكن هل الفكر الإعلامى «مازال فكراً ناشئاً»<sup>(١٩)</sup> . يفتقر إلى الدراسات الموجهة والضابطة ؟ أما أن الإعلام يعلم ما يفعل وهو موجه ناحية تدمير المجتمعات النامية حتى تظل فى حالة ضعف اقتصادى تجعلها مستهلكة للمنتج الأجنبى ١٩؟ إننا لا يجب أن نظل فى دائرة نقد العاجز ، بل ليفعل الإعلام ما يفعل بشرط تحديد الغرض ، فلقد ربانا أهلنا على أننا سنرى ونسمع فى الشارع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولكن يجب علينا أن نميز بين الغث والسمين ، بين ما ينفع وبين ما يضر ، بين ما يبنى وبين ما يهدم ، بين الحب وبين البغض بين ما تألف به الناس ، وما تؤلف به قلوبهم ، وما تؤلف به بين قلوبهم ، بين الحق وبين الباطل ، نكاد نياس من التنظير لإعلام يؤدي غرضاً بناءً فى سبيل وطن يعانى من أزمة اقتصادية ، واجتماعية ، ويعانى من قيم قديمة جديدة قديمة قدم الخطأ الجديدة كأننا لا نعرف أساليب التعامل معها ! فالإعلام يقدم برامج متميزة «مثل عالم سمس» تبنى الفرد لينة المجتمع ، ثم ما أن ينتهى البرنامج حتى ينهال

علينا ما يناقض ما أثمره البرنامج ، ولو يعلم كل مسئول مدى الخطر الذى يهدده فى سلامه الأمنى والاجتماعى والنفسى ، بل والسياسى لكان هو أول من يغير وجهة هذه الأجهزة التى استطاعت اليابان أن تحولها إلى جامعة علمية مفتوحة تزيد من تقدم مجتمعها ، برغم شراسة الحملة الغربية بغية تغيير النظام الأخلاقى الذى أدى إلى تقدم اليابان ، وغيرها من دول جنوب شرق آسيا . ولقد أدرك معظم الباحثين أن الإعلام عندما انفصل عن دوره الثقافى المباشر ، وعندما انفصلت قيادته الثقافية عن قيادته السياسية وعهد به إلى قيادات إعلامية محترفة ظنت تلك القيادات أن الإعلام مثل بعض مدارس الفن إعلام للإعلام !! كفن للفن أو ضحك كضحك «فكان فصل سياسة الإعلان عن سياسة الثقافة جريمة لا تغتفر ، خاصة فى عصر بات فيه الثقافة محوراً رئيسياً لعملية التنمية»<sup>(٢٠)</sup> والفرد هو أهم عناصر تلك التنمية ، ولكن إذا كان الإعلام يتناول قضية معرفية يعهد فيها إلى مدعى الإبداع دون العمل طبقاً لنظريات التعليم ولقياسات المعامل التربوية فإن النتيجة المتوقعة مزيد من التخبط ، والشعور بأن هذا الإعلام لا يمثل بعض طبقات المجتمع يزيد من تفسخ المجتمع ولا بد من ميثاق أخلاقى يقدر جميع فئات المجتمع ويرى فى الجاهل تاريخاً من الأخطاء هو الضحية الأولى والمسئول الأخير ، ويرى فيه مسئولية مشتركة للنهوض بها وللارتقاء بمعارفه وتنمية قدراته كى لا يتخلف عن ركب المجتمع .

## القسم الثالث

### الغاية والنتائج

١ - كما يقول الفقهاء والمناطقة : التصور يسبق التصديق ، فلقد كانت الغاية من البحث متصورة قبل أن نقدم حيثياتها .

وعندما نحدد غايتنا في محو الأمية المعلوماتية في مجتمع أمي فإن آليات الوصول إلى تلك الغاية ليست هدفاً نهائياً ، بل غاية مرجوة في منهج مستمر ، أي أن المنهج الصالح للتعامل مع هذه المشكلة هو مطلب جدلي مطلق في صيرورته ، وذلك لأن هناك «احتمال كبير بأن نستخدم المنافسة بين الدول القليلة القادرة على تحقيق مزيد من التقدم العلمي والتقني»<sup>(٢١)</sup> .

وهذه المنافسة قد ندفع نحن ثمن وقودها أو نكون نحن وقودها المباشر، ولا يجب علينا أن نياس من مجتمع أمي نأمل منه تجنب حرب المعلومات الحاصل وليس المنتظر ، فحرب المعلومات لم يحدد مجاله فلم يترك حتى مجال الطب فصارت التجارة بالأمم الناس ضمن تلك الحرب ! فماذا نأمل من الأمي في كيفية التخلص من عبء تلك الحرب وهو الذي عانى أعباء تاريخية أدت به إلى كونه لا يعيش عصره ، نأمل منه شحذ حواسه المعرفية ، وتركيزها تجاه مصادر المعرفة المناسبة لقدراته ، وتغيير واقعه بواقعه ، وليس بوهم المعجزات المستحيلة فعلياً «أن نبحث عن الجزء الفاعل في نفوسنا ، ومنه نبدأ مسيرة السؤال وهي نفسها مسيرة الحل»<sup>(٢٢)</sup> فعندما يبدأ الأمي السؤال من أنا ؟ وكيف يمكنني أن أعيش في

عصر المعلوماتية وأنا لا أعرف حرفاً من لغة ؟ حين يأتي هذا السؤال بوعى أنني أعرف ما ينقصني فمن الممكن أن يتحول السؤال إلى أنني أعلم ماذا عندي من قدرات أخرى ، إن هذا السؤال ليس سؤالاً فلسفياً خاصاً بالفلاسفة أصحاب القول : الدهشة أو التفلسف ، بل هو سؤال فلسفي عام يعيه كل من يحاول حل مشكلات نفسه بداية من نفسه لا انتظار حل مشكلات نفسه من قبل الآخرين ، وهذا الوعي ليس من شروطه القدرة على القراءة والكتابة ، بل هو نتاج أعمال وسائل التفكير ، و «الفكر هبة إلهية»<sup>(٢٣)</sup> لا تعتمد على ملكة واحدة ، ولا حاسة واحدة ، وإن كانت تقوى بكمال الحواس إذا وجهت نحو الحق والخير والجمال والعدل ، وتنقلب إلى بلادة إذا عطلت الحواس عن عملها ، فإننا عندما نسمع كلمة الحق منطوقة فإننا نقرنها إما بنموذج من التقدير للحق ، وإما ببحث معين يجعلنا ندرك جمال الحق<sup>(٢٤)</sup> ولا شك أن السمع يستطيع أن ينقل الذي حرم القراءة والكتابة أن ينقله من مرحلة معرفية محدودة إلى مراحل ترقى به إلى درجة عالية من الوعي والفهم لما يحيط به وما يعيش به وما يعيش معه . ويقدر ما ذكرناه من تركيب وتعقد مشكلة محو الأمية المعرفية ، فإن العقل التركيبي يستطيع أن يتجاوز تلك العقدة لأن العقل التركيبي هو الذي يسترعى انتباهه الكل دون الأجزاء فلا يقف عند تعطل جزئية من حواسه ، ولا يجعل تلك الجزئية تشل بقيته الصحيحة ، وإننا قد وجدنا هذا الأمر عند

ولكن ليس الأمر بهذه السهولة لأنه - كما ذكرنا - توجد مشكلات أضعفت العقل العربي عضويًا ونفسيًا ، فصار يرى في الجهل هدوءًا يطوى فيه أحزانه و صار يرى في تفسيرات الجاهلين للدين ملاذًا يخفى فيه عجزه المعرفي عن التعامل مع أدوات المعرفة المعاصرة ، وأدى ذلك إلى تداعيات اقتصادية مدمرة للفرد وللمجتمع فصار العجز المعرفي سببًا لتداعيات اقتصادية واجتماعية ونتيجة - في آن واحد - للفقر وللتخلف الاجتماعي ، ولكي نستطيع مواجهة هذا الخطر القاهر علينا بالاستفادة من تأثير الدين في حركة الشعب العربي ، فالله الذي أقسم بالقلم وما يكتبه الملائكة أو البشر يعلم وهو العليم الخبير أثر المعرفة الناتجة عن أدوات المعرفة المعاصرة ، فيدخل في قسمه قيمة هذه المعرفة وأدوات تحصيل هذه المعرفة ، فإذا اتبه الإنسان العربي إلى هذه المعاني فسوف يسهل عليه التخلص من إرث الجهل التاريخي المركب الذي لا علاقة للدين به ، ولكن يعود بالدرجة الأولى لتفسيرات جاهلة تشكل إعاقه ذهنية عضوية ونفسية للفرد وللمجتمع .

٣ - إن مكونات العقل العربي تحتاج أن نبدأ من الإيجابيات الذاتية لهذه المكونات ، وتحجيد السلبيات إلى حين ، حتى يشعر الفرد العربي بقيمة المنتج المعرفي المعاصر ، وهو من تلقاء نفسه سيحدث ما يسميه البعض بثورة على الجهل المركب : أمية الماضي وأمية الحاضر ، وعلى أقل تقدير يستطيع العقل العربي أن يكتسب المعرفة في عصرنا الحالي من خلال

طلاب الجامعة في عدة دول فقد كنا نرى الطالب أو الطالبة يقف وتقف عند جزئية لا تبدو واضحة في المنهج الدراسي ، ويصابوا بشلل تام أمام المقررات الدراسية بأكملها ، فكان الحل الأدائي الذي نشفيهم به من شللهم - حتى حين - أن نقول لهم دعوا مواجهة هذا الجزء الآن ، وبعد ذلك - ودائمًا - كانوا يرون هذا الجزء واضحًا ، ولكن كان ما يهمني بداية هو عدم التوقف عند جزء من الحياة بعامتتها ، وهذا ما أراه صالحًا للتطبيق بشأن محو الأمية المعلوماتية، فما لا يدرك كله لا يترك كله .

٢ - محو الأمية معضلة عميقة الجذور في وطننا العربي ، ومحو الأمية المعلوماتية المعاصرة تواجه عمق هذه الجذور ، وتواجه عدة صعوبات معرفية واجتماعية واقتصادية ، وسياسية ، بما يشبه المرض المزمن الذي يشكل تاريخًا صحيًا للمريض .

ومن أسس هذه المشكلة نستطيع أن نضع أيدينا على أسباب العلاج ، فالسبب المعرفي سبب ونتيجة في آن واحد ، فكون الإنسان العربي عانى ضعفًا معرفيًا نتيجة الفقر والمرض وجهل الوالدين والأجداد ، فلا بد من تنبيهه إلى أن الخلاص الأكيد والممكن هو تنمية قدراته المعرفية ، فالصانع الذي يستطيع أن يتعامل مع شبكة الإنترنت ويعلم منها أهم أساليب صناعته وتقليل الفاقد من المادة الخام التي يتعامل معها ويكون منتجها منها ، سيصل إلى مردود اقتصادي نافع يزيد من ثقته بقيمة المعرفة الناتجة من تعامله مع شبكة الإنترنت .

أدوات المعرفة المعاصرة دون التوقف عند أمية الماضي ، لأننا لو انتظرنا حتى نقضى على أمية الماضي : أمية القراءة والكتابة فسوف تتسع الفجوة المعرفية بيننا وبين العالم المعاصر ، بينما يستطيع العاجز عن القراءة والكتابة أن يستفيد بالوسائل الإيضاحية التي يوفرها الوسيلة الأساسية للمعرفة المعاصرة وهو الحاسب الآلي وبرامجه المتعددة ، ويستطيع هذا العاجز أن يتقدم خطوات حضارية ما كان له أن يتقدمها بالقراءة والكتابة مع بقاءه على خصام معرفي مع تلك الأدوات المعاصرة .

٤ - المشكلة المركبة تحتاج عقلاً تركيبياً يسهم في حلها ، ويتيسر الحل بتحليل عناصر تلك المشكلة ، وفهم الجزء ضمن كلية المشكلة لكن لا يشترط حل المشكلة بكاملها ، فهذا لم يحدث منذ بدء الخليقة ، ولذلك فمن العبث البحث عن حل شامل لمشكلة محو الأمية القديمة ، أو الأمية المعلوماتية .

٥ - كذلك يجب على الدول العربية أن تعي أن التسرب من التعليم والذي بدأ يعود بقوة في بعض البلدان العربية أن هذا التسرب سيعيد تلك الدول إلى عصور ما قبل التاريخ بسرعة فوق تصور المسؤولين عن تلك الدول ، وأن هذا التسرب ناتج طبيعي للفقر وللتخلف الاجتماعي والمرض ، وعلى المسؤولين عن هذه الدول أن يعوا أن التقدم العلمي القادم لن يدع أية فرصة للحاق به ، وأن الحالة الراهنة لا تحتاج إلى تنظير رتيب بقدر ما تحتاج إلى خطوات عملية للاستفادة من التقدم العلمي المعاصر ومن أدواته ومن منهجه ، وفي نفس

الوقت نمنع أسباب التسرب من مراحل التعليم لأن ذلك سيجعل القضاء على الأمية مهمة مستحيلة ، ونوجز أسباب هذا الخطر فيما يلي :

- الفقر وما ينتج عنه من رغبة الأسرة في التخلص من أعباء الدراسة .
- ضعف القيمة المعرفية الناتجة عن فترة دراسة طويلة دون أي تأثير منهجي في التعامل مع الحياة المعاصرة ومشكلاتها المركبة المعقدة .
- البطالة ، هذا الخطر القاضى على القيمة النفعية للتعليم .
- الضعف الصحي الناتج عن الفقر الذي طال فئات اجتماعية عديدة ، وبالطبع فالضعف الصحي ينتج عنه ضعف عقلي ونفسى يجعل التعامل مع أدوات المعرفة المعاصرة صعباً ومرفوضاً ، بل وأحياناً مستحيلاً .

٦ - ولكي نتسق مع أنفسنا فإننا لن نتظر ما يفعله لنا الآخرون ولن نركن إلى كثير من الكلمات وحسب فإننا نؤمن بالفكرة القائدة التي من الممكن أن تساعد فرداً من الممكن أن يقود نفسه في اتجاه معرفي مشر له ولغيره ، وعلينا أن نتجاوز أية صعوبات بإدراك أنه لن ينفع الفرد المعاصر الخصام مع العصر بكل مكوناته ، بل إن حتمية الوجود في هذا العصر تفرض حتمية التعامل معه ، وتقنع الفرد بحتمية المردود النفعي لهذا التعامل ، بل إن الحل الوحيد لكل أسباب الضعف المعرفي والاجتماعي والاقتصادي هو التعامل مع تلك

الأدوات المعرفية المعاصرة كوسيلة أساسية للوجود فى هذه الحياة ، وللاستمرار فى هذه الحياة بصورة تحفظ للإنسان كيانه النفسى وتحفظ قدراته المعرفية من التدهور نتيجة القهر العالمى المسمى بأسماء عديدة منها العولمة ، والنظام العالمى الجديد ، ولو تركنا مواردنا البشرية دون رعاية فإن حالة من الكآبة سوف تخيم على مجتمعنا ككل لأن ذلك الجزء من مواردنا البشرية ليس كياناً منفصلاً برغم أن بعض طبقات المجتمع تعتقد أن الفقراء من لم

ينالوا حظاً من التعليم أنهم خارج منظومة المجتمع أو أنهم جزء غريب عن المجتمع ، وهذا النوع من التفكير كفيل بالقضاء على مفهوم كلمة مجتمع ، وعلى ماهيته ، وهذا خطر بالغ لن ينجو من آثاره المدمرة جميع فئات المجتمع ، بل ستتداعى آثار ذلك الخطر فتشمل هذا العالم الذى يدعى أنه قرية واحدة !  
ونعم قرية واحدة فيها سيد عبد ظالم ، وعبيد أظلم فهم : «ظالمى أنفسهم» .

## مصادر وهوامش البحث

- (١) المكتبات والمعلومات والتوثيق . د. سعد الهجرسي . ود. سيد حسب الله . دار الثقافة العلمية . الإسكندرية ١٩٩٩م . ص ١ .
- (٢) ن.م. ص ٢ .
- (٣) ن.م. ص ٢ .
- (٤) عصر المعلومات (الدور الثقافي والتنموي للكتب والمكتبات في عالم متغير) إبراهيم عبد الموجود . الدار الشرقية . القاهرة ١٤١٤هـ . ص ٨١ .
- (٥) دراسات في المكتبات والمعلومات . د. عبد اللطيف صوفى . دار الفكر المعاصر . بيروت ١٤٢٢هـ . ص ٤٧ .
- (٦) ن.م. ص ٤٧ .
- (٧) ن.م. ص ٤٨ .
- (٨) الثقافة العربية وعصر المعلومات «رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي» د. نبيل على عالم المعرفة . الكويت . العدد ٢٧٦ ديسمبر ٢٠٠١م . ص ٩٥ . وانظر علم النفس اللحظة . د. مجدى محمد إبراهيم . مجلة المرابطون . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . نواكشوط ١٤١٩هـ . العدد ٧ . ص ٩٥ .
- (٩) ن.م. ص ١٥ .
- (١٠) ن.م. ص ١٥ .
- (١١) دراسات في الكتب والمكتبات . د. عبد الستار العلوجي . مكتبة مصباح . الرياض . المملكة العربية السعودية . ١٤٠٨هـ . ص ٨١ .
- (١٢) تاريخ أوعية المعرفة . د. عبد التواب شرف الدين . الدار الدولية للنشر والتوزيع . القاهرة . ١٩٩٨ م . ص ١٧٧ .
- (١٣) انظر بحث «مناهج بحث غائبة» د. مجدى محمد إبراهيم . مجلة المرابطون . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . نواكشوط . العدد ٦ . ص ١٠٣ .
- (١٤) موسوعة العلوم السياسية . جامعة الكويت . ١٩٩٣-١٩٩٤م . ج ٢ . ص ٩٢٣ .
- (١٥) ن.م. مجلد ١ . ص ٥١ .
- (١٦) ن.م. ص ٥١ .
- (١٧) دراسات في المكتبات والمعلومات . د. عبد اللطيف صوفى . ص ٣٢ .
- (١٨) المكتبات والمعلومات والتوثيق . ص ٣ .
- (١٩) الثقافة العربية وعصر المعلومات . ص ٣٧٤ .
- (٢٠) ن.م. ص ٣٧٤ .
- (٢١) موسوعة العلوم السياسية . مجلد ٢ . ص ٩٢٣ .
- (٢٢) فلسفة التغير والتغيير . د. محمد محمد إبراهيم . دولارس للأدب والفنون والإعلام . رأس البر . ٢٠٠١م .
- (٢٣) فن التفكير . أرنت دمنيه . ترجمة رشدى السيسى . مؤسسة سجل العرب . القاهرة ١٩٦٧م . ص ٤٢ .
- (٢٤) ن.م. ص ٢٧ .
- (٢٥) المعجم الفلسفى . عربى . إنجليزية . فرنسى . ألمانى . لاتينى . د. عبد المنعم الحفنى . الدار الشرقية . القاهرة . ١٩٩٠م . ص ٥٨ .